# مرحلة الخطوبة وأهميتها


تأليف

الدكتور / سيف بن راشد الجابري





الناشر / دار الواضح - الإمارات

WWW.DARALWADEH.AE



# مرحلة الخطوبة وأهميتها

تأليف

الدكتور / سيف بن راشد الجابري



الطبعة الثانية
1431هـ - 2010م

إذن الطباعة ، المجلس الوطني للإعلام
ق/10/2010م /1891

رقم الملكية الفكرية
144 - 2010

الترقيم الدولي للكتاب
ISBN978-9948-15-660-4

تصميم وإخراج:
مريم حسن أبو غزالة

للتواصل مع المؤلف
متحرك : 6240250 50 971+
دبي - الإمارات العربية المتحدة
E-mail : drsrmh@hotmail.com



دار الواضح - الإمارات
لنشر وتوزيع الكتب والمطبوعات
مكتب الإدارة الرئيسية: الإمارات - دبي ص.ب: 97755
هاتف: 2655333 4 00971، متحرك: 3337776 50 00971
البريد الإلكتروني: info@DARALWADEH.ae
الموقع الإلكتروني: www.DARALWADEH.ae



# كلمة الناشر:

الحمد لله الذي فضل الإنسان على سائر خلقه وجعل له من نفسه زوجةً ليسكن إليها وجعل بينهما مودةً ورحمة والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آل بيته وصحبه. أما بعد ...

مرحلة الخطوبة من أجمل المراحل العمرية التي يعيشها كل شاب وفتاه لما تتركه لهما من ذكرياتٍ جميلة . وقد عرفت الخطبة عند كل الشعوب والأمم السابقة للإسلام واتخذت عادات وأعراف مختلفة في حياة تلك الشعوب والأمم حتى جاء الإسلام فأرسى لها الدعائم والأصول والضوابط وهذا ليس ببعيد عن روح الإسلام التي جعلت المجتمع الإسلامي واحة محبة عامرة بالأخلاق والقيم والتقوى. فالمؤمن أخو المؤمن لا يبتاع على بيعته ولا يخطب على خطبته حتى يذر هكذا علمنا الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

ومن ثم فإني أدعو الله تعالى أن يجعل ثواب هذا العمل الطيب في ميزان حسنات مؤلفه وأسأل الله العظيم أن ينتفع به كل شاب وفتاة مقبلين على مرحلة الخطوبة وأن يكون هذا الكتاب منبع خير لكل الأباء والأمهات لتعليم أبنائهم آداب الخطوبة وفقه مبادئ الإسلام.

وعلى الله قصد السبيل

**دار الواضح**





## المقدمة:

الحمد لله الذي أمتن على أمة الإسلام بقيم دين الإسلام والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ الذي أرسله ربه رحمة للعالمين. وبعـــد :

فإن الأسرة هي نواة المجتمع البشري وهي ضرورة إنسانية، لقيام المجتمع الطاهر العفيف الذي بنى أساسه على الزواج الشرعي الذي يؤسس الأسرة الصالحة والمجتمع الإيماني الذي فضله الله وكرمه على سائر خلقه، كما ،،،،،،،،

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء: 70

والفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص، فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره، على

أنه فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه ودفع الأضرار عنه بأنواع المعارف والعلوم. هذا هو التفضيل المراد[1].

ومن هنا لا يمكن أن يعيش الإنسان الذي جعله الله خليفة في أرضه كما تعيش الحيوانات، ينزو ذكورها على إناثها في الأماكن والطرقات، لابد له من أسرةٍ وبيتٍ يضم بين جدرانه أباً رحيماً كريماً، وزوجة بارة عفيفة صالحة كريمة، وأولاداً تتم نشأتهم نشأة إسلامية فاضلة في كنف آبائهم، ويتربون تربية صالحة في أحضان أمهاتهم، هذه إرادة اللـه وبهذا جاءت شرائع الله العادلة.

أما الذين يريدون أن يتمردوا على نظام الأسرة و يحرروا أنفسهم من المسؤولية ليعيشوا في الحرام، فإنما هم مخالفون لمنطق الفطرة السوية والعقل السليم، وفي هذا الأمر

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ **النحل**:72

يذكر تعالى نعمه على عبيده بأن جعل لهم من أنفسهم

(1) التحرير والتنوير. 166/7

أزواجاً من جنسهم وشكلهم، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكوراً وإناثاً وجعل الإناث أزواجاً للذكور، ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة[1].

وهذا الأمر جعله الله للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كذلك، وأخبر في كتابه أن لهم أزواجاً وذرية،

## قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ **الرعد:٣٨**

يعني بالأزواج النساء، وبالذرية الأولاد. وفيه وجهان:

أحدهما: معناه أن من أرسلناه قبلك من المرسلين بشر لهم أزواج وذرية كسائر البشر، فلم أنكروا رسالتك وأنت مثل من قبلك.

الثاني: أنه نهاه بذلك عن التبتل، قاله قتادة.

وقيل إن اليهود عابت على النبي ﷺ الأزواج، فأنزل

(1) (ابن كثير). 558/2

الله تعالى ذلك فيهم يعلمهم أن ذلك سُنّة الرسل قبله[1].

فالأسرة في المجتمع البشري هي النواة الأولى والخلية الحية النشطة في بنائه، وهي مؤشر الصلاح أو الفساد، فإذا صلحت الأسرة صلح بناؤها واستقام أمرها وارتقت أخلاقها وتعاون على البر والتقوى أهلها، وشاع الحب والوفاق بين أفرادها وسعد المجتمع وصلح حاله، أما إذا فسدت الأسرة وتفككت روابطها وانحلت أخلاقها ودب الخلاف والشقاق بين أفرادها فسد المجتمع وتصدعت أركانه وشاعت الفوضى في كل جوانبه.

ومن هنا جاء الإسلام ليقيم الأسرة المتماسكة القوية، وليبني البيت السعيد المتعاون، فشرع للأسرة ما يضمن لها سلامتها ويحفظ عليها استقرارها ويحقق لها سعادتها من خلال

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: 21

هذه آية ثانية فيها عظة وتذكير بنظام الناس العام وهو

(1) تفسير الماوردي.

نظام الازدواج وكينونة العائلة وأساس التناسل، وهو نظام عجيب جعله الله مرتكزا في الجبلة لا يشذ عنه إلا الشُّذَّاذُ، وهي آية تنطوي **على عدة إشارات منها**:

أن جعل للإنسان ناموس التناسل، وجعل تناسله بالتزواج ولم يجعله كتناسل النبات من نفسه، وجعل أزواج الإنسان من صنفه ولم يجعلها من صنف آخر لأن التآنس لا يحصل بصنف مخالف، وأن جعل في ذلك التزاوج أنسب بين الزوجين ولم يجعله تزاوجا عنيفا أو مهلكا كتزاوج الضفادع،

وأن جعل بين كل زوجين مودة ومحبة فالزوجان يكونان من قبل التزاوج متجاهلين فيصبحان بعد التزاوج متحابين، وأن جعل بينهما رحمة فهما قبل التزاوج لا عاطفة بينهما فيصبحان بعده متراحمين كرحمة الأبوة والأمومة، ولأجل ما ينطوي عليه هذا الدليل ويتبعه من النعم والدلائل جعلت في هذه الآية إشارات عدة

في قوله تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ **الروم: 21**

وهذه الآية كائنة في خلق جوهر الصنفين من الإنسان:

صنف الذكر، وصنف الأنثى، وإيداع نظام الإقبال بينهما في جبلتهما.

وذلك من الذاتيات النسبية بين الصنفين[1]. ولأهمية الخطوبة وخصوصيتها في تحديد نوع التلاقي بين الزوجين وبناء الأسرة على الأسس الصحيحة وفق الضوابط الإسلامية

فهذه محاولة بسيطة في عرض بعض الخواطر الإسلامية أضعها بين يديك أخي القارئ الكريم لعلها تسهم في إرشاد الشباب إلى الصواب.

**وقد جاء البحث في أربعة محاور وخاتمة:**

- **المحور الأول: الخطوبة عند الأمم والشعوب قبل الإسلام.**
- **المحور الثاني: شروط وصفات الخاطب.**
- **المحور الثالث: شروط وصفات المخطوبة.**
- **المحور الرابع: إرشادات.**
- **الخـــاتمـــة.**

أسأل الله تعالى أن يغفر لي ولكم وسائر المسلمين أجمع.

المــؤلــف

(1) التحرير والتنوير.



# المحـــور الأول

## الخطوبة عند الأمم

## والشعوب قبل الإسلام

لقد ارتطبت الخطوبة بالزواج لأنها مقدمة له فكان لها اثارها منذ القدم على مختلف الأزمان والعصور والأديان. وبما أن الخطوبة لها أهميتها نجد الشعوب تعارفت على ذلك وجعلت لها الضوابط التي ينشأ بعدها الزواج ولعل من المناسب الإشارة إلى تلك العادات والتقاليد عند تلك الأمم باختصار.

### أولاً: الخطبة في العهد البدائي:

من المعلوم أن العصر الأول لبداية الإنسانية كانت القبائل فيه متفرقة ولكل منها عاداتها التي ألزمت نفسها بالعمل فيها والمحافظة عليها. ومن تلك العادات تزويج البنت منذ ولادتها حتى إذا بلغت الثانية عشر من عمرها زفت الى بيت الزوجية.

ومنها أيضاً تجرح المخطوبة بنصرها الأيسر ويجرح الخاطب بنصره الأيمن وتأخذ قطرات من دم البنصرين ويمزج في أرز مطبوخ يأكل منه الخاطبان[1].

---

(1) الزواج في الشرائع السماوية والوضعية : ص 29،28.

**ثانياً: الخطبة في الديانة المسيحية:**

اهتمت المسيحية بالخطبة، لأن الزواج فيها غير قابل للانفصال، فهي تساعد الطرفين على التأني وعدم التسرع في الإقدام على الزواج، مما يجعل حياة الزوجين أكثر استقراراً، لأن في هذه المرحلة يتعرف كل طرف على الآخر بشكل جيد، ويستبين منه ما يوافق طباعه وما يخالفها، وبناء على ذلك يقرر الاستمرار واستكمال الزواج الذي يدوم مدى الحياة، أو العدول عنه عند استكشاف ما لا يتلاءم مع ظروفه أو شخصيته من مختلف الأحوال والأسباب.

**ثالثاً: الخطبة عند العرب قبل الإسلام:**

تخطب المرأة إلى وليها عند العرب، فيقبله أو يرده، دون أن يأخذ رأي الفتاة فيمن سيكون زوجاً لها. وجرت العادة عندهم أن لا تزوج البنت إلا بمن يساوي أباها، في الحسب والنسب والسيادة والشرف.

إن الحياة الاجتماعية التي عاشها العرب قبل مجيء الإسلام والتي تتسم بالمتناقضات قد قسمتهم إلى فئتين:

**فئة مقهورة** تجرعت الظلم زمناً طويلاً وأخذت تتطلع إلى

نظام عادل، يرفع عن كاهل أفرادها ظلماً ورثوه عبر الأجيال كرهاً، ويعيد تنظيم حياتهم وعلاقاتهم من جديد، ويحقق للفرد والمجتمع الخير والطمأنينة والاستقرار.

وفئة متسلطة جمعت عناصر القوة والبطش، وراق لها ما آل إليه المجتمع، فسعت بما أوتيت من قوة وسلطة إلى تكريسه، والاحتفاظ بسيادة مطلقة تتيح لها الرفعة المستمرة، وهذا ما دفع أفراد هذه الفئة لمقاومة الإسلام، لأنه أراد تسويتهم بمن عملوا على أن يكونوا دونهم دائماً، ولأنه أراد انتزاع السيادة منهم والاحتكام لتعاليم الله السمحة.



# المحور الثاني

## الخطبة في الإسلام

### قال الرسول ﷺ

(المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبته حتى يذر)[1].

وهذه هي روح الإسلام التي تجعل المجتمع الإسلامي واحة محبة وليس غابة عنف، وتضمن الحق القانوني بالإحسان وليس بالسجان، وتعين على تحقيق العدل بالأخلاق والقيم والتقوى وليس بالشكوى أو بالدعوى، فيبرز من المجتمع جانبه الأخلاقي، وتطغى عليه الصبغة الإنسانية، ويفنى حق العبد فيه بحق الله، فإذا كان الله قد أمر بالعدل فإنه قرنه بالإحسان، وإذا كان الله قد حلل البيع والشراء فإنه خلطه بالسماحة، وإذا كان الله قد وهبنا الحرية في المصالح فإنه قرنها بحرية الآخرين من غير تجاوز معيب، أو اعتداء أخلاقي مشين. وعلى هذا فإن حرية الرجل في أن يخطب المرأة التي وقع عليها اختياره مقيدة بعدم التجاوز على حق الآخرين في نفس هذه الحرية حين سبقوه إلى وضعها موضع التنفيذ، فسجلوا بذلك موقفا يجب احترامه، وأسبقية تلزم مراعاتها، مهما كان

---

(1) صحيح مسلم 1414.

أثر القواعد العدلية، أو رأي القضاء في ذلك.

## ولعل في قوله عليه الصلاة والسلام في هذا الصدد:

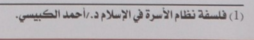
(المؤمن أخو المؤمن)

ما يشير إشارة صريحة إلى ما يجب أن يسود بين الاخوة من تكامل ورحمة، وتكافل ومودة، وإيثار ووفاء وبالتالي فإن من الحكمة أن يتجنب كل أخ ما يعكر الصفو بينه وبين أخيه وأن يراعي ما يحفظ علاقة الأخوة بينهما قوية متينة من غير شائبة أو نائبة.

**خلاصة الأمر:** إن الإسلام يهدف من وراء تحريم الخطبة المحرمة إلى إرساء القواعد التنظيمية للمجتمع، وإلى كفالة الحق للفرد، وإلى وضع القيم والشمائل للناس. بدليل: إن الحرمة هنا لا تتعلق بالمخطوبة من حيث كونها مخطوبة، وانما تتعلق بما تعلق بها من حيث حق الغير فيها، فلو تنازل هذا الغير عن حقه زالت الحرمة بذلك،

### لنص الحديث:

لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له[1].



(1) فلسفة نظام الأسرة في الإسلام د./أحمد الكبيسي.

**شروط وصفات الخاطب**

من المعلوم أن هناك صفات يجب أن توجد في الزوج قبل دخوله بيت الزوجية، وهذه الصفات أصبحت اليوم مطلوبة أكثر من الأمس، وذلك لأن الحياة اليوم تغيرت وأصبحت الزوجة فيها ذات سيادة وحرية وثقافة تبحث عن الزوج الكُفء الذي يشاركها حياتها ويعرف حقوقها ويعاشرها بالمعروف. ولهذا فإنني أركز على بعض الحقائق الهامة، التي توضح من هو الرجل صاحب القوامة الذي يعرف واجبه قبل الدخول على زوجته؟.

**الحقيقة الأولى**: تحقيق معنى القوامة في الأسرة.

من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى حين خلق البشر أوضح أنه خلقهم من ذكر وأنثى، والذكورة والأنوثة صفة عامة اتصف بها كل مخلوق من إنسان أو حيوان ثم جعل القوامة بيد الرجل ليقيم العدل في ميزان الله عز وجل وليعرف كل فرد واجباته وما له من حقوق ،

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴿٣٤﴾﴾ النساء:34

والقوامة تعني المسئولية الكاملة تجاه الزوجة، ومن هنا كان على ولي الزوجة أن يزوج كريمته من الرجل الكفء الذي يُعتمد عليه ويعرف معنى القوامة، وأن يكرمها ويكون لها أبا وأخا وولدا وزوجا، وذلك من خلال معرفته بحقوقها وتعامله معها بشريعة الله وتعاليم الإسلام حتى تسعد النفوس وتطمئن القلوب وتصفو الأرواح ويكون الحب والود والألفة والوئام . **فهذه هي معاملة الزوج لزوجته**، وأما معاملته مع نفسه فيجب أن يتحلى بالصفات الطيبة النبيلة. و يجَملها بالدين القيم ويكرمها بالأخلاق الفاضلة و يحفظها بالطاعة الصادقة ويزينها بالأدب الجميل ويجملها بالعلم النافع، ليكون عبداً لله صالحاً وزوجاً ناجحاً وأخاً كريماً وأباً لأسرة كريمة قامت على تعاليم الإسلام وهدي رسوله ﷺ خير الأنام.

**الحقيقة الثانية**: عفة النفس وكفها عن الحرام.

على الخاطب أن ينوي بزواجه تحصين نفسه وصيانتها عن الحرام وعفها بالحلال من خلال حياة سعيدة مع زوجة طيبة ليكون زواجاً مباركاً، وكذلك ينوي بزواجه إكثار سواد الأمة الإسلامية

كما قال ﷺ:

( تناكحوا تناسلوا فإني مفاخر بكم الأمم )[1].

والزواج واجب على من قدر عليه وخشى على نفسه من الزلل في الحرام، لأن الزواج مع تحصينه للنفس إلا أن فيه من الفوائد التي لا تحصى سواء على الفرد نفسه أو على مجتمعه أو الأمه جميعاً وعلى البشر كافة، لأن الزواج هو الطريق الوحيد لكف النفس عن الحرام وإدخالها في الحلال لتسكن وترتاح، وذلك مصداقاً

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الروم: 21

هذه الآية تشير إلى نعمة الله تعالى على الإنسان أن خلق له زوجة من جنسه من حيث الصفات البشرية والإنسانية ليحصل التآلف والتجانس ويتبادلوا المشاعر في المحبة والرضى والثقة وهذا من فضل الله تعالى وقدرته. ومن ناحية أخرى نجد أن الله بعدما

(1) قال العجلوني في ( كشف الخفاء ) 1/380 : رواه عبد الرازق والبيهقي عن سعيد بن أبي هلال مرسلاً بلفظ " تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة " اهـ.

خلق الذكر والأنثى وضع لهم نظام الاتصال وكيفية تمامه حتى لا يبقى البشر كالحيوان ينزو بعضهم على بعض دون ضوابط ثم يسر لهم هذا الطريق وتعهد بعونهم

قال ﷺ:

( ثلاثة حق على الله عونهم، المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف )[1]

فدل الأمر على أهمية الزواج لعفة النفس وكفها عن الحرام.

**الحقيقة الثالثة** : حسن الاختيار.

إن التركيز على اختيار الزوج هو الأصل الذي تبنى عليه الأسرة المباركة، وحسن اختيار الزوج أمرٌ هام في شريعة الإسلام من أجل حياة طيبة وأسرة سعيدة تعيش على أساس متين وأصل مكين مترابط بروابط الحب وأواصل المودة.

وبما أنّ الزوج أكثر خطراً على حياة الأسرة من الزوجة إذا أخطأ في اختياره أو اخطأ الولي في تزويجه فإن الحرص على اختيار الزوج الكفء المناسب للبنت هو الواجب لأن الزوجة من الممكن فراقها عندما تتفاقم المشكلة، ولكن الزوج من

---

(1) سنن الترمزي 184/4.

الصعب التخلص منه، لذا لابد لولي أمر الزوجة أن يختار الزوج الصالح ليمنع وقوع الظلم أو حدوث المشاكل في المستقبل على ابنته سواء على المستوى الداخلي في محيط الأسرة أو الخارجي في المحاكم والقضاء والمنازعات وخاصة إذا ابتليت الزوجة بزوج مرابي لا دين له ولا خلق ولا ذمة ولا عهد، إنما دينه شهوته وغايته رغباته فهو عديم المسؤولية ولا يبالي أذا أَهلَكَ أو هَلَك، يقول الإمام أبو حامد الغزالي عن هذا الاختيار للزوج من الزوجة: والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق على كل حال.

وقال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن لي بنتاً فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها ممن يتقي الله، فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها.

أي إن الحب يكرم صاحبه، فالزوج إذا أحب زوجته فإنه يبالغ في إكرامها ولا يبخل عليها، بل يكون حبه لها دافعاً للعمل والجهد والاجتهاد ليوفر لها الحياة الكريمة، لأنها أم أولاده وسكن نفسه وقرة عينه، فيعمل الكثير لإنجاح أسرته، وأما إذا أبغضها فإنه صاحب دين ولديه

ميزان يزن به الأمور، فهو يخاف الله الذي أعطاه ميزان العدل الذي ينظر به إلى الأمور بعين البصيره والحق، لهذا جاء في قول الحسن: ( وإن أبغضها لم يظلمها ). نعم إذا أبغضها ولم يجد قابلية في نفسه فإنه رجل نزيه تمنعه شيمته وعزة نفسه عن ظلمها، فإذا أبغضها يعطيها حقها ويطلب من الله أن يعوضه زوجة تسكن بها نفسه، كما جاء في

## الحديث النبوي:

( الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف )[1]

، فقد يكون الزوج رجلاً جمع كل الصفات الطيبة وكذلك الزوجة، ولكن الحياة بينهم غير مستقرة لأن النفوس لم تلتق على الحب والود، ومن هنا جاء الحل الإسلامي الذي أساسه الرضى والتسليم لحكم الله عز وجل، فلا يظلم الرجل زوجته أو يعذبها بل يرفع عنها الظلم ويخيرها في حياتها لتكون الحياة قائمة على المودة والرحمة، وإذا فارقها يكون الفراق بالرضى، كي لا تصبح الزوجة رهينة في يد الزوج يعبث بها كما شاء، حتى يصل بها الأمر إلى الشتات الأليم أو القضاء

(1) أخرجه البخاري 1213/3 ومسلم 2031/4.

المرهق. ومن هنا جاء قول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: (النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)[1] إذ أنَ الزوجة تكون حينئذٍ أسيرة في يد الزوج فوجب على وليها أن يختار لها الزوج التقي الذي لا يظلم بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني سامية ودلالات لطيفة. وقد قيل: اخطب لابنتك قبل أن تخطب لابنك فقد سار السلف الصالح على هذا المنهج وكان لنا فيهم أسوة وعبرة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: قلت: نعم قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني

(1) سنن سعيد بن منصور 1/191 ، سنن البيعقي 7/83 .

أن أرجــع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها [1].

وقال ابن أبي وداعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب، ففقدني أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قال: توفيت أهلي فاشتغلت بها. فقال: هل أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: أنا. فقلت: أو تفعل قال: نعم. ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة.

قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن استدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر كان خبزا وزيتاً، فإذا باب يقرع فقلت: من هذا؟ قال: سعيد قال: ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم يرى أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت فإذا سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إلي فآتيك؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى. قلت: فما تأمر؟ قال إنك كنت رجلا عزيا فتزوجت،

(1) رواه البخاري في الصحيح (5/1968 رقم 4830) كتاب النكاح، باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير.

فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة من خلفه في طوله، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب، ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم قدمتها إلى القصعة التي فيها الزيت والخبز فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح فرميت الجيران فجاؤوني فقالوا ما شأنك قلت: ويحكم زوجني سعيد بن المسيب ابنته اليوم وقد جاء بها على غفلة. فقالوا: سعيد بن المسيب زوجك؟! قلت: نعم وها هي في الدار. قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها إلى ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس، فلما لم يبق غيري قال: ما حال ذلك الإنسان؟ قلت: خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو. قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي فوجه إلي بعشرين ألف درهم قال عبد الله بن سليمان وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك

حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف[1]

**الحقيقة الرابعة**: واجبات الخاطب

أولا: القدرة وتحمل مسئولية الزواج

إن الرجل المقدم على الزواج لا بد أن يكون على دراية ووعي بهذا الزواج، فهو مقبل على حياة جديدة ويجب عليه أن يتعلم ضرورياتها ويتعلم المسؤوليات التي أوجبتها القوامة التي بيده والتي

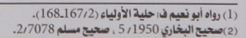
ذكرها الله في كتابه قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴿٣٤﴾﴾ **النساء**:34

=فهي تكليف وتشريف لأن من يقوم بواجبه حق القيام يكون أهل للمسؤولية وتلك درجة يسمو بها عند الله وعند الناس، وعليه أن يتعلم كافة الحقوق والواجبات المترتبة عليه كرجل تجاه زوجته، ومنها: القدرة والاستطاعة

كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

(يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج) (2)



(1) رواه أبو نعيم في: حلية الأولياء (2/167-168).

(2)صحيح البخاري 1950/ 5 ، صحيح مسلم 2/7078.

فالاستطاعة هنا حملت معنىً عاماً يقاس عليه الكثير، وهذه الاستطاعة ليست مادية أو جنسية فقط كما يفهم البعض بل هي أعم وأهمّ، فيجب على ولي أمر الزوجة أن يكون ذا نظرة عميقة، هل هذا الزوج كفء لابنته أم لا؟ لأن النساء لسن على شاكلة واحدة، بل هناك من النساء من لا يستطيع الزوج الضعيف قيادتها بل يتحول إلى تابع لها، وإذا حدث ذلك ضاعت القوامة ويتبعها ضياع الأسرة، وذلك لما نعرفه من الحالات التي تمر بها النساء فتتغير فيها بعض السلوكيات دون اختيار، ولذلك وجب على ولي الزوجة وهو يعرف ابنتــه من أي نوع أن يختار لها الزوج الذي يستطيع أن يمسك زمام أمرها **ويحافظ عليهــا**. ولهذا نقول: إن قضية الاستطاعة قضية كبيرة في معناها عميقة في محتواها، فعلى الزوج أن يكون على قدر من الاستطاعة استناداً

لقول الرسول ﷺ:

(يا معشر الشباب...).

ثانيا : المحافظة على الزوجة وحسن العشرة.

وهذا نداء فيه توجيه للشباب الذين يريدون الزواج أن تكون لديهم الاستطاعة على تحمل مسؤولية البيوت

وتبعية الأسرة، وهي سهلة ميسرة لمن أراد الالتزام بالاستطاعة المادية بأن يكون رجلاً عاملاً ذا دخل ينفق منه على زوجته وأولاده، ولديه الاستطاعة الجنسية التي تلبي رغبة الزوجة، والقدرة على التكيف مع الحياة الجديدة مع زوجة ذات طباع وحاجات مختلفة عنه، وتكون عنده الاستطاعة على المحافظة على هذه الزوجة من زلات الهوى ونزوات النفس، وأن يغار عليها ويصونها ولا يعرضها للهلاك من خلال صديقات السوء، وأن يصونها من كل ما يدنس شرفها وعرضها وذلك من خلال الغيرة الإسلامية التي تنتج عن الحب لهذه الزوجة ولا يقبل في هواه شريكاً. ومن شدة المحافظة على الشرف

**قال الشاعر:**

**لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى**
**حتـى يـراق علـى جوانبـه الدم**

**والمعنى:** أن الشرف هو الزوجة، فيجب أن يحافظ عليها زوجها وأن يكون ضابطاً لكل شؤون الحياة التي قد تتعرض لها خلال حياتها الأسرية، وأن يكون رجلاً أهلاً للقوامة كما أمر الله تعالى.

**الحقيقة الخامسة: القبول والرفض.**

لقد أعطى الاسلام الحق للزوجة أن تختار زوجها تكريماً لها ومراعاة لشعورها وصوناً لكرامتها وحفاظاً على حقها واستقراراً لسعادتها وعزاً لشأنها ورفعة لدينها. هذا جزء من تكريم المرأة في الإسلام، بل أعطاها الحق في الرفض أو القبول للزوج الذي سوف ترتبط به في حياتها والحق في أن تكون على بينة من أحواله العامة والخاصة. ليس بحرام ولا عيب أن تختار الزوج المناسب، ومتى وجدته لايوجد مانع أن تخبره عن رغبتها في الزواج منه. والشواهد كثيرة... ومن أهمها: ما روته كتب السيرة أن السيدة خديجة رضي الله عنها هي التي عرضت نفسها على رسول الله ﷺ قبل الزواج بها، لأنها رأت في النبي ﷺ صفات الرجل الكامل الذي يعرف حق المرأة - قبل الإسلام وقبل النبوة - وحقيقة الرجل وملامح رجولته لا تقيد بعقيدة ولكن بالصفات الحميدة. وبعد الإسلام أصبحت المرأة لا يحق لها التزوج من غير المسلم وحسب شروط عقد الزواج.



**الحقيقة السادسة:** صفات الزوج في الإسلام

## أولاً : الدين والخلق:

أهمية اختيار الزوج قبل الزوجة: والمراد منه توضيح حقائق الشريعة التي طغت عليها العادات والأعراف المذمومة، في أن هذه البنت أو الزوجة ليس لها إلا السمع والطاعة العمياء، صحيح عليها الطاعة ولكن في حدود المعروف، والزواج مشاركة ومعاشرة واطمئنان فكيف لأب يهنأ له النوم وابنته تتعذب مع زوج سيء الخلق خبيث النفس لا يعامل ابنته بالاحترام والمودة.

فقد أمر الإسلام الزوج أن يختار الزوجة التي تتحلى بهذه الصفات

فقال النبي ﷺ:

(تنكح المرأة لأربع: لمالها وجمالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك )[1]

ولا مانع أن يقاس الرجل على المرأة في تلك الصفات لانها صفات مشتركة بين الاثنين.

فعلى ولي المرأة أن يحسن اختيار الزوج الصالح الذي يبني ولايهدم، يعطي ولا يأخذ، يعفو ولا يلوم، ويصفح ولا يعاقب إلا بالتي هي أحسن،

(1) صحيح البخاري 1958/5، صحيح مسلم 1086/2.

## وصدق رسول الله ﷺ القائل:

(إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[1]

فهذا الحديث المبارك يدل دلالة واضحة على أهمية الدين والخلق وأن في الإعراض عنهما مفسدة كبيرة وخاصة في مسألة الزواج الذي هو أساس بناء الأسرة وأن في عدم الزواج الشرعي يحل الفساد بالأمة نتيجة الفتنة التي يقع فيها الناس وهي فتنة الشهوة الداعية إلى الفاحشة إذا لم يتم الزواج والتلاقي على حسب ما شرع الله.

## ثانياً: النسب الطاهر:

من المعلوم لدى كافة البشر ذي الطباع السليمة والحس المرهف أن مسألة النسب لها أهمية كبيرة سواء في المجتمعات المسلمة أو غيرها لهذا كان لزاما فطريا عند من أراد الزواج أن يبحث عن النسب الطيب، وهذه الفطرة السليمة دعمها دين الإسلام وأيدها بضوابط مهمة لأن الدين يدعو إلى النسب الطيب الذي دعى إليه الرسول ﷺ لأنه من الصفات الحميدة التي يجب أن تتوافر في الزوج كما بينها

(1) سنن الترمذي 3/394ـ 395، سنن ابن ماجه 1/632.

**الرسول ﷺ بقوله:**

**( انتقوا لنطفكم فإن العرق دساس )** [1].

وفي هذا إشارة إلى أهمية النسب الصالح الذي تأتي منه الذرية، ومن المعلوم أن النطفة تكون من الرجل والمرأة مصداقا

**قَالَ اللهُ تَعَالَى:**

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ **الإنسان:2**

والنطفة المذكرة هي الحيوان المنوي والنطفة المؤنثة هي البويضة وأن رحم المرأة وعاء لها فعلى الزوج أن يختار النسب الطيب أولى من غيره، لأن من هذه النطفة تكون الذرية إما صالحة أو فاسدة.

وهذا الحديث النبوي يكوّن الأسس الأولة في قضية اختيار الزوج والموافقة عليه عند تزويج البنت، وهذا من حكمة تشريع دين الإسلام الذي يحمي الأسرة قبل قيامها عن طريق الاختيار الصحيح.

(1) مسند الشهاب للقضاعي 370/1 بلفظ: " وأنظر في أي نصاب تضع ولدك فإن العرق دساس"

## ثالثاً : الحقوق والواجبات :

وهذه فلسفة الإسلام العظيمة في توحيد ضوابط الاختيار في الحقوق، وذلك من خلال وضع هذه المنهجية الطيبة. في أن ما ينطبق على الرجل في اختيار المرأة كذلك ينطبق على المرأة في اختيار الرجل والعمل على معرفة الحقوق والواجبات المشتركة، ولذلك

**يقول الرسول ﷺ:**

(كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) [1]

فجاء هذا الحديث يوجه عقوبة تنبّه الزوج إلى خطورة الأمر، وأنه يكفيه من الإثم أن يضيع أسرته، إنه أثم كبير، لهذا وجب على الزوج المسلم أن يعد نفسه ويهيأ حياته الزوجية لأداء واجباته نحوأسرته

**لقول الرسول الكريم ﷺ**

(كلكم راع ومسؤول عن رعيته) [2]

وَعَلَى الزوجة كذلك أن تعرف هذا الزوج، وتعرف بعض

---

(1) سنن أبي داود 2/132 ، مسند أحمد 2/160 ، صحيح ابن حبان 10/51.
(2) صحيح البخاري 1/304 ، صحيح مسلم 3/1495 .

الصفات التي تؤهله أن يكون ربان سفينة الأسرة ليصل بها إلى مرضاة الله، وتكون أسرة صالحة في المجتمع تنجب ذرية صالحة في خدمة دينها ودنياها، ويكون هذا الزوج من أسرة ذات سلالة طاهرة نقية ليس في نسبه قدح، كأن يكون ابن زنا أو لقيطا أو مجهول الحال، ويكون الزوج من منبت حسن في الخُلق والرحمة والمحبة واللين، ويظهر ذلك من خلال صفات والديه، وحاله يغني عن مقاله، ويكون الزوج من بيئة صالحة تحميها الشريعة وتسودها العدالة وتؤثر الموروثات الطيبة من العادات الحسنة والتقاليد النبيلة، وأن يكون سليماً من الأمراض الوراثية والإعاقات الجانبية، وذلك يعرف من خلال الوسائل الحديثة في الطب.

هذه بعض الصفات التي نرى أنها مكملة لما سبق من الصفات التي يجب أن تتوفر في الخاطب قبل زواجه واقترانه ببنت الحلال.



# المحور الثالث

## شروط وصفات المخطوبة

### خاطرة عن المخطوبة:

بعد الحديث عن الشروط والصفات التي ينبغي أن يكون عليها الخاطب الذي هو زوج المستقبل ورب الأسرة، نتناول الحديث عن المحور الثاني في تكوين الأسرة، وهي المخطوبة اليوم، والزوجة غداً، وذلك من خلال عرض مسيرة تكوين الأسرة. وتبدأ هذه المسيرة قبل الخطبة، والمقصود توضيح كل حالة على حدة حتى يتم شرح هذه المسائل لننشأ في النهاية زواجاً سعيداً لأسرة سعيدة بنيت على أسس سليمة وقواعد متينة وعلم شرعي، لتعيش هذه الأسرة الجديدة بخير وثبات ويرزقوا البنين والبنات ويربوهم على ما تعلموا من طاعات وفعل الخيرات.

**وفي الحديث عن الزوجة نقول كما قال الشاعر:**

**إذا لم تكن في منزل المرء حرة**

**تدبره ضاعت مصالح داره**



إن الزواج هو الأساس في العلاقة الغريزية بين الرجل والمرأة وتلبية الحاجات الجنسية ووضعها في مكانها الصحيح وهو الذي تبنى عليه الحياة الأسرية مشاركة بين الرجل والمرأة، والمرأة هي نصف المجتمع، وخلف كل رجل عظيم امرأة كما يقال، بل هي المؤثر الفعال، لهذا نجد أن أول مسؤولية تقع على عاتق الزوج هي البحث عن الزوجة المناسبة له من النواحي المختلفة: الدينية والاجتماعية والتعليمية وغير ذلك من الصفات الطيبة... نعم كما ذكرنا بيت الشعر لا بد للرجل من زوجة صالحة تقوم بتدبير داره ورعاية مصالحه، لأن المرأة في المنزل هي الوردة الفواحة التي تعطر جو المنزل بالمحبة والرحمة والمودة التي تُكوِّن بها السعادة. وعلى ذلك نبحث عن هذه الزوجة المثالية التي تتوفر فيها الصفات الطيبة كما بحثنا عن الزوج المثالي ذي الصفات الطيبة كما في

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴿٢٦﴾ ﴾ النور:26

ولتحقيق مقصد هذه الآية، لابد من المرور بخطوات يتبين بها مغزى هذا الطلب وتحقيق مقاصد الشريعة في تأسيس الأسرة.

**الخطوة الأولى: صفات المخطوبة في الإسلام:**

بداية هذه الخطوات هي مرحلة البحث عن المخطوبة مِن قِبَل الخاطب، وذلك من خلال التفكير في كيفية إيجاد تلك الزوجة الصالحة التي يمكن أن تكون شريكة الحياة وما هي صفاتها وأحوالها...فإذا استطاع أن يحدد هذه الصفات ويضعها أمام عينيه، كانت البداية الصحيحة لخطواته نحو الزواج السعيد الذي يُبنى على أسس مدروسة، لأن الاختيار الصحيح هو **الخطوة الأولى** في طريق الزواج الناجح، وذلك بالبحث عن الزوجة ذات الصفات التي وضعها الرجل في مخيلته لشريكته في الحياة، وكيفية اختيارها وما هي صفاتها المطلوبة التي تلبي رغباته؟ لتكون هي الزوجة المثالية التي تعيش معه بنفس المنهج والفكر والسلوك. وهذه الخطوة هي الأسلوب الناجح الذي أقرته الشريعة الإسلامية في تكوين الأسرة الصالحة من قبل قيامها عن طريق الوضوح الكافي بين الزوجين، وذلك عن طريق معرفة مواطن الصلاح والخلل في كل طرف حتى تبقى الرؤية واضحة بين الاثنين، هذا الوضوح الذي ارتضاه الإسلام وجعله هدى للسالكين في طريق الزواج الشرعي الذي يحمي الأسر والشعوب من الإنزلاق في ظلمات الجهل والتبعية العمياء للشعوب التي لا تدين بدين، والإسلام

فيه كل الحاجات التي يحتاجها البشر لبناء الأسر، التي تنتج المجتمعات الصالحة القائمة على أركان الدين المتين المزدهر بالعطاء الذي لا ينضب، لأن بناء الأسرة الصالحة هي النواة الحقيقية التي تحفظ قيم المجتمع وتجعله مجتمعاً صالحاً على أسس صحيحة، لهذا نجد أن اختيار الزوجة الصالحة ناتج عن حسن التصرف، لأن صفات المرأة كثيرة كما أشار الحديث الشريف الذي تحدث عن المال والجمال والنسب والدين، فالإسلام دين عرف رغبات الرجل والمرأة، فلكل منهما غرائز وطبائع، ولا بد للزوجين من الالتقاء في الصفات التي تلبي رغبة كل منهما، لهذا نجد الزوج يبحث عن زوجة قريبة منه في طباعها وثقافتها وأفكارها، حتى لا يتعب معها ولا يشقى في حياته أو تؤثر سلباً في تربية أبنائه.

**الخطوة الثانية : تحديد الصفات**

من المعلوم أن الرجل بعد اقتناعه بفكرة الزواج يحدد صفات المخطوبة ويقارن بين عدة أمور: هل يريد المال أم الجمال أم الحسب والنسب أم الدين؟ وهذه الصفات لكل منها هدف وغاية، لأن الزواج متعة الحياة ومستقر الراحة وهو المعنى الذي أكده

رسول الله ﷺ في قوله:

﴿ إن الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة ﴾[1].

وهذا المعنى يبحث عنه كل زوج، حتى لو لم يعرف هذا الحديث ولم يسمع به، فإن حاله يقول ذلك، لأنه متى عزم الرجل على الزواج أطلق فكرة البحث عن الزوجة التي تحمل هذه الصفات التي ذكرها

رسول الله ﷺ في قوله:

﴿التي تسره إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره﴾[2]

فالزواج بالنسبة للرجل هو الأساس الذي ترتكز عليه أحواله الإجتماعية وما ينشأ عنه من مصاهرة وأبناء سيكونون امتداداً له، وصلة وقرابة ينال بها العمل الصالح من خلال اختياره الصالح للمرأة الصالحة التي تحمل هذه الصفات الطيبة التي ذكرها الرسول ﷺ، ذلك لأن الزواج أمر تعبدي يبتغي به الإنسان وجه الله تعالى، وتحصين نفسه من الزلل في موارد الهلاك وتكوين أسرة طيبة.

(1) صحيح مسلم 2/1090. (2) سنن النسائي 6/68 ، مسند أحمد 2/ 251 .

وعلى ذلك يقوم الرجل بعملية الترجيح حول أفضلية الصفات المطلوبة في الزوجة قبل الخطوبة وعقد النكاح من خلال الالتزام

**بقول الرسول الله ﷺ:**

**( تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك )[1].**

هذا الحديث الشريف يصف حالة الزوج الإنسانية والنفسية في نظرته للمرأة ويضع أمامه صفات المرأة المميزة التي تقر بها عينه ويأمنها على تربية أولاده التربية الصالحة من جميع الجوانب.

**الخطوة الثالثة: التفاضل في صفات المخطوبة.**

قد يسأل سائل ويقول: هل من الممكن أن توجد هذه الصفات؟ نقول: إذا لم تكن هناك امرأة كاملة بهذه الصفات فيجب على الزوج أن يعرف كيف يقارن في الاختيار ويلزم نفسه الطاعة بأن يختار ذات الدين، لأن النبي ﷺ أمر بذلك إذ أن فيها الخير والبركة، والرسول ﷺ لما ذكر الصفات المطلوبة

(1) تقديم تخريجه.

ذكر ما يكنّه كل إنسان في نفسه.

ولكن هل من الممكن أن يحصل الإنسان على كل شيء؟ نقول: بالطبع لا، ومن هنا كان الحرص على أنّ الشيء الموجود أفضل ، والشيء الموجود يوفر المجهود و(الدين) موجود وكل مسلمة مؤمنة صالحة فيها الخير والنفع كما

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ:

﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ ﴿٥﴾﴾ التحريم5

والإنسان لا يعلم أين الخير ولكن يجتهد في تحصيل ما يرضى طموحه ويشبع رغبات نفسه ومن ثم معلوم أن التقيد بضوابط الدين هو المقصد الأول عند تكوين الأسرة، فيحصل عنده المفاضلة فيختار ذات الدين حتى لا يتعب نفسه وراء الصفات الأخرى التي ذكرها الحديث النبوي. فهذا الاختيار والتوجيه من الرسول ﷺ حين ذكر المال، ثم جعل الدين أفضل منه دل على أن المال يفنى بكثرة المتع والرفاهية الزائدة حتى إذا نفد تغيرت الأحوال. ولأسباب كثيرة كُلِّف الرجل أن ينفق على زوجته حتى لو كانت غنية لسد هذا الباب وجعل الاختيار قائماً على الدين أفضل، وكذلك حين ذكر الحديث

الشريف الجمال الذي تسرع إليه الشهوة فإن الجمال يزول مع الوقت لأي عارض من الحوادث الدنيوية، فإذاً الجمال ليس مقياساً في اختيار الزوجة وإن كان الجمال مطلبا للنفس، وهذا حقٌ لكل رجلٍ يرغب في امرأةٍ جميلة، مع العلم بأن هذا الجمال نسبي وأكثر النساء جميلات بمستويات مختلفة.

وأما الحسب فلا يلحق الزوج منه شيء، وحتى ذرية الزوج ترجع إليه، فالمعتمد حسب الزوج وليس حسبها، لأن حسبها لنفسها وأهلها، أما أولاده فهم يحملون حسبه. وعلى ما تقدم يتضح لنا أن أهم الخصائص الحساسة التي يجب أن تؤخذ بعين البصر والبصيرة هو الدين لتحقيق الهدف الأول من الخطوبة، وهو (الزواج) وتكون **الخطوبة** هي الخطوة المهمة في اتخاذ قرار الزواج لأن تكوين الأسرة يجب أن يكون مساره قائماً على الدين الكامن في كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ.

**الخطوة الرابعة: النظر والغاية منه.**

قيل: (العين مغراف الكلام) ولغة العيون هي المعنية بنقل الأهداف والظواهر الخارجية إلى العقل الذي يعطي القلب قبول هذا الشيء أو رفضه، وعليه يكون النظر هو مفتاح القبول الذي يحقق مقصود النكاح، وهو من مقدمات الخطوبة وهو مطلب نفسي أقره الإسلام وأيده

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ③﴾ النساء 3

والنكاح هو مشروع الزواج الذي أكد عليه

الرسول الله ﷺ القائل:

(النكاح من سنتي فمن رغب عن سنتي ليس مني)[1]

ولأن الخطوبة هي مقدمة الزواج وبناء الأسرة، وهذا البناء يحتاج لذكر وأنثى وكلاهما محتاج للآخر، ولكل منهما ضوابط وضعها لنفسه لذا أكد الدين على النظر إلى المخطوبة قبل الشروع في الزواج من خلال

قول الرسول ﷺ:

(انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)[2]

فكيف لرجل أن يتزوج من امرأة لم يرها ولم يعرف عنها شيئاً أكثر من أنها بنت زيد من الناس؟ وهذا الفهم الخاطئ أوقع الكثير من الناس في نهاية غير طيبة مما يخلق المشاكل الأسرية، لأن هذا الزواج لم يقم على نهج الإسلام وهدي خير العباد سيدنا

(1) سنن ابن ماجه 592/1. (2) سنن ابن ماجه 599/1، مسند أحمد 246/4، مستدرك الحاكم 179/2.

محمد ﷺ الذي قال:

(إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل)[1]

هذا التصور الراقي والسلوك العالي لهو أحق بالاتباع لبناء أسرة سعيدة، وهذا العمل من حقوق الرجل قبل الخطوبة! وهذا الإرشاد النبوي فيه المعاني السامية التي تخالط بشاشة القلوب، لأن القلوب هي المقصودة في عملية الزواج كما جاء في الخبر:

(الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف)[2].

فمتى نظر الرجل إلى المخطوبة ونظرت إليه تحقق نفي الجهالة الظاهرة بحال كل منهما، وأصبح المظهر أمام الخاطب واضحاً وبعد ذلك يقرر، فإذا وجد قلبه قد قبل هذه المرأة زوجة له فسوف تتم مراسم الخطوبة والزواج، وأما إذا لم يتم التوافق وتنافرت النفوس فإن الستر مضروب عليهما، ولا أحد يجرح الآخر، ولا تكون هناك منازعات حول الرفض، لأن موضوع

(1) سنن ابي داوود 228/2 ، مسند أحمد 334/3 ، مستدرك الحاكم 179/2 .

(2) تقدم تخريجه.

الرؤية تكون محصورة بين أهل العروسين فقط، فإذا لم يتم التوافق فمعناه لا يوجد نصيب وكل ينتظر نصيبه دون أن يسفه الآخر، وتبقى الأخوة والاحترام قائمة بين العوائل دون تجريح ومنازعات وخلافات عائلية، أو أن ينتشر بين الناس أن هذا الرجل رُفِضَ من قِبَل العائلة الفلانية، فإذا تقدم مرة أخرى لأسرة ثانية ترفضه بحجة أنه قد رفض من قوم فُلانٍ. وكذلك المخطوبة إذا رفضها الخاطب يقول الناس: لو لم ير فيها شيئا لما رفضها. ومن هنا تنبع المشاكل...ولمنع هذا كله لا بد أن يكون الأمر في سرية وهدوء وطيب نفس حتى لا يكون هناك حرج بين العوائل ويبقى بينهم الود والوصال والاحترام. وهذا من محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق عند المسلمين.

إن هذه النظرة بين الطرفين تحقق معاني الاختيار الصحيح بين الزوجين، وهذا اللقاء وسط العائلتين مهم جداً ويُعتبر مرحلة فاصلة إما قبول الزواج أو رده.

ويجب أن نُحكِم الدين ولا نُحكِم العادات والتقاليد بحجة أن ابنتنا لا يراها الزوج إلا ليلة (الدُخلة)!!! هذا الكلام ترفضه الشريعة لمصلحة الطرفين، لأن الإسلام ألزم أتباعه باتباع هديه لتتحقق

مصالحهم منه.

ومن جهة أخرى أعتقد أن الرجل إذا نظر إلى مخطوبته ارتاحت نفسه لأنه عرف متاعه الذي يكون شريكا له، وذلك اتباعا

لقول رسول الله ﷺ:

(إن الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة)[1].

فلو نظرنا إلى دلالات الحديث النبوي وإشاراته البعيدة التي هي منافذ السعادة الزوجية في الدنيا لوجدنا في إشاراته الأولى إلى متع الدنيا، وهذه المتع عديدة وفيها ملذات كثيرة من مال وجاه وسلطان وعَدَد ماشئت... ولكن هذا المتاع كله ناقص ويبقى القلب في كربٍ وَهَمّ مهما ملك من متاع الدنيا، والسبب في ذلك أن نصفه الثاني وهو الزوجة غير موجودة أو موجودة ولكنه لا يشعر بالراحة والهناء معها.

فجاءت الإشارة الثانية في الحديث أن خير متاع هذه الدنيا كلها يجتمع في المرأة الصالحة التي يميل إليها القلب وتأنس بها النفس وتبرد بها العواطف وتقرُ بها العين، ثم نجد حديثاً آخر مصدّقاً لهذا التوجيه وموضحاً هذه المتعة

(1) تقدم تخريجه.

## قوله ﷺ

في صلاح المرأة وخيريَتها :(التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه في نفسها ولا ماله بما يكره )[1].

إذن هناك دلالة واضحة تشير إلى رغبة الزوج في هذه الزوجة الصالحة بهذه المعاني الجليلة التي ذكرها رسول الله ﷺ، وهو يُبين أنَ خير متاع الدنيا المرأة الصالحة.

فاحرص أيها المسلم أن تكون بهذا المستوى المطلوب والمرغوب عند كل رجل مستقيم وصاحب سلوك متزن وشعور بشريكة الحياة التي سوف تكون له مكمن سعادة وأنس، وهذا كله يرجع لحسن الاختيار كما ،،،،،،،

**قال الشاعر وهو يخاطب أبناءه :**

**وأول إحساني إليكم تخيري**
**لماجـدة الأعـراق باد عفافهـا**

---

(1) تقدم تخريجه.

# المحــور الرابــع

## إرشـــــــادات

بعد عرض بعض الشروط والصفات المطلوبة بين الخاطبين أود هنا أن أشير إلى بعض الإرشادات التي وجَهها رسول اللهصلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع، فالعلم بها ومعرفتها تنير طريق السالك إلى الزواج الناجح، وتساعد الراغب فيه بتحقيق هدفه نحو اتخاذ قراره، وهذه الإرشادات تخص الخاطب والمخطوبة، ثم اتبعها بتوصية إلى كل أب وأم وزوج وزوجة عسى أن يكون فيها الخير إن شاء الله ومن باب قوله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى}.

**الإرشاد الأول : مَن نُهِيَ عن تزويجه:**

من المعلوم أن شريعة الإسلام بنيت على التيسير ورفع الحرج ومصالح العباد جاءت باليسر ليعيش الناس سعادة ورخاء، وجاء هدي الرسول الكريم يصحح بعض الأمور التي اعتادها الناس لأنها مخالفة لمطالب الدين وعلى المسلمين العمل بهدي الرسالة المحمدية في تصحيح أحوالهم وعدم الركون الى البهرجة والزيف، ومن هذه الأمور ملاحظة ما نهى الإسلام عن تزويجه.

**فقال ﷺ:**

(من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها)[1]

وهذا النص فيه دلالة إرشادية عظيمة من الرسول ﷺ بأنه يجب على ولي المرأة أن يتحرى عن الزوج، ولا يأخذ الأمر بظاهره بل يجب عليه أن يسأل عنه وعن احواله عموما وسمعته وخصوصياته وعن دينه وخلقه واستطاعته لهذا الزواج، يقول: ابن تيمية رحمه الله: (ومن كان مصراً على الفسوق لا ينبغي أن يزوج)[2].

أي إذا كان هناك رجل مصر على الفسوق فإنه لا ينبغي أن يزوج وذلك يرجع لمصلحة الزوجة والمحافظة عليها كما ،،،،

قالت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها:

(النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته)[3].

وقال عمر رضي الله عنه:

(لا تزوجوا بناتكم من الرجل الدميم فإنه يعجبهن منهم ما يعجبهم منهن)[4].

---

(1) المجروحين لابن حبان 1/288.
(2) فقه السنه 2/24.
(3) سنن سعيد بن منصور 1/197، سنن البيهقي 7/82.
(4) تهذيب الأسماء واللغات 3/101.

وهذا القول من الفاروق رضي الله عنه نرى ان يُتَّبع لأن المرأة تحب أن ترى نفسها مع زوج جميل الخلق والخلُق.

وقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني ابن أخ له يرفع بي خسيسته، فجعل الأمر إليها[1].

فللمرأة إذاً الحق في النظر الى خاطبها لأنها هي التي تقضي حياتها بجنبه وعلى وليها أن يسمح لها أن تختار من تسكن نفسها إليه لكي لا تعيش معه في شقاء وجفوة.

## الإرشاد الثاني: مَن نُهي عن تَزوُّجها.

عوداً على ما بدأ من الارشاد الاول الذي أوضحنا فيه من نهي عن تزويجه كان لنا كذلك من التوضيح في الإرشاد الثاني عمن نهى عن تزويجها وذلك لاكتمال المساواة بين الطرفين لهذا جاءت إرشادات سيد المرسلين ﷺ للخاطب والمتطلع للزواج بتوجيهات وإرشادات سامية تنير الطريق أمامه بأن لا يتزوج إلا من محمودة الصفات ذات المنشأ الكريم والطباع السليمة والمزاج المعتدل والبعيدة عن مواطن الشبهات والانحرافات

(1) مصنف عبد الرازق 146/6.

النفسية والعصبية، الودود والولود وذات الخلق والدين.

والأخذ بهذه التوجيهات فيها البركة لحماية المقبل على الزواج من الوقوع في أمور غير محمودة والارتباط بامرأة تنغص عليه حياته فعليه أن يختار المرأة الصالحة لأن الرسول ﷺ نهى عن نكاح بعض النساء اللواتي يتصفن بصفات لا ترضي الله ولا تقر بها عين الزوج، ومن تلك النسوة التي لا تليق بالرجل المسلم الجميلة الخبيثة لأنها تحمل خبثها في حسنها وهو ما بينه

## الحبيب ﷺ بقوله:

( إياكم وخضراء الدّمن، قالوا: ما خضراء الدّمن يا رسول الله؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء )[1].

يشير الحديث إلى أهمية الاختيار الصحيح للزوجة على ألا يكون اختيار الرجل منحصراً في الحسن وخاصة إذا كانت تربية هذه المرأة غير صالحة أو تكون على غير دين الإسلام الذي يحملها على صيانة نفسها وحماية زوجها ورعاية أولادها. لأن الحسن المجرد ربما يكون وسيلة لأفسادها وخرابها إذا لم يقتد بالدين والاخلاق وكذلك المال والجاه والحسب كما

(1) أمثال الحديث للرامهرمزي 121/1 مسند الشهاب للقضاعي 96/2.

**قال رسول ﷺ:**

( لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهنَ فعسى أموالهنَ أن تطغيهن. ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل )[1].

وهذا الحديث يدل على الأفضلية ولا يدل على الحرمة ولكن كما هو معروف فإن الرجل يرغب في المال والجمال ولكبح هذه الشهوات جعل الدين أفضل.

## وقال الله تعالى:

﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴿٢٢١﴾ ﴾

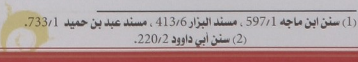
**البقرة** 221:

ولننظر كذلك في توجيه رسول اللهصلى الله عليه وسلم للرجل الذي خطب امرأة عقيماً لا تلد، فقال: يا رسول الله إني خطبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد،

**فنهاه رسول الله ﷺ وقال:**

( تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة )[2].

(1) **سنن ابن ماجه** 597/1 ، **مسند البزار** 413/6 ، **مسند عبد بن حميد** 733/1.
(2) **سنن أبي داوود** 220/2.



والودود هي المرأة التي تتودد إلى زوجها وتتحبب إليه، وتبذل طاقتها في مرضاته.

فهي ودود ذات دين يغض الرجل بها بصره و يحصن فرجه ويصل رحمه ولهذا أمرنا الرسول ﷺ أن نختارها ونبتعد عن كل ما يغري من النساء التي خلت من تلك الصفات لأنها إن خلت من الدين جاءت بأمور عسكية لا تسعد الإنسان ولا تذهب به إلا إلى الهلاك والذل

قال ﷺ:

(من تزوج امرأةً لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره و يحصن فرجه ويصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه)[1].

**الإرشاد الثالث : مفهوم الحياة والدين**

إن مفهوم الإسلام للأخلاق هو مفهوم الحياة الصحيحة، وما الزواج إلا عمل صالح يسعى إليه ذو الطبع السليم، فعلى الرجل عند الاختيار أن يعرف هذه الضوابط المباركة من سيد

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط ، انظر الترغيب والترهيب للمنذري 3/46 وكنز العمال 16/612.

البشر ﷺ، وهي للجانبين المرأة والرجل، والمطلوب أن تكون الغلبة للدين في اختيار الطرفين والنهى عن الزواج من صاحبة هذه الصفات، ليس حصراً بالمنع التام ولكن المقصود أن الغالب في النساء التعالي وخاصة إذا ملكت مثل هذه الصفات وكان الزوج أقل منها فإن نظرة التعالي عليه قد تفسد الحياة الزوجية بينهما، ويضيع الأولاد بين خصوماتهما الدنيوية، وأما إذا كانت الزوجة صالحة ومؤمنة معها أيضاً الحسن والمال فإن الحال يختلف، إذ أن دينها يمنعها من التعالي على زوجها، بل تجعل مالها وجمالها في طاعة زوجها، وقد تزداد عزاً على عز ورفعة فوق رفعة. وكم من النساء الصالحات اللواتي قدمن ما لهن وجمالهن لأزواجهن فأصلحن البيت والأسرة والعشير. ولئن اجتمعت هذه الخصال مع الدين فقد جمعت السعادة كما جاء في الحديث الشريف

## عن الحبيب ﷺ القائل:

(من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، ثلاثة من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقوة بن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء)[1].



(1) مسند أحمد 1/168.

## توصيــــة :

على ما تقدم أود أن يتفهم الناس مسألة الخطوبة التي هي مرحلة الإعداد للزواج، وأقترح أن لا يتم عقد القران الشرعي إلا قبل إتمام مراسم الزواج مباشرة، لتجنب المشاكل الجانبية بعد عقد القران وحدوث المشادات الكلامية بين الزوجين والاختلاف على بعض الأمور على الهاتف ممّا يصعب عليهم بعد ذلك حلّه نتيجة البعد الذي بينهم، أما بعد الزواج الرسمي فلو حصل خلاف فإن الزوج يكون قريباً من زوجته وهذا القرب يزيل الخلافات، لأن السكن الواحد يوفر جواً صحياً بين الزوجين.

أما إجراء مراسم عقد القِران قبل الدخول بالزوجة بفترة طويلة فقد أثبتت التجارب فشله وأن ظاهرة الطلاق قبل الدخول تشير إلى ارتفاع هذه النسبة في المجتمعات الإسلامية والعربية.



## الخاتمة

إن الإسلام بنى فلسفة العدل على عدالة الطبع السليم، الذي يجب أن يسلكه كل أب في اختيار الرجل الكفء لكريمته، لأن دواعي الاختيار يجب أن تكون مشتركة بين الرجل والمرأة على السواء من حيث وجوب النظر والمعرفة، ليبقى هذا الزواج ناجحاً ومستمراً، لأن حكمة الإسلام من الزواج هي المحافظة على بقاء النوع الإنساني من خلال استعمال الفطرة والرغبة الجنسية في مكانها الصحيح، ليكون وراءه هدفاً يحقق المرجو منه وهي الأسرة السعيدة. فما أحوج الأسرة المسلمة إلى منهج الله وهدي رسول اللهصلى الله عليه وسلم لتسعد وتفوز بنعيم الدنيا وسعادة الآخرة.

**والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد.**



# المصـــادر

## التفسير :

- (تفسير القرآن العظيم) لابـن كثـيـر.
- (التحريـر والتنـويـر) لابن عاشور.
- تفسير الماوردي.

## الحديث :

(الصحيحين) البخاري ومسلم.

(السـنن) النسائي والترمذي وابن ماجه.

(المسانيـد) أحمد والشهابي.

## الفقه والأسرة :

(فقـه السنـة) السيد سابق.

(العلاقات الأسرية في الإسلام) الدكتور/محمد عبد السلام.

(فلسفة نظام الأسرة في الإسلام) الأستاذ الدكتور/أحمد الكبيسي.

(أدب الإسلام في نظام الأسرة) الأستاذ الدكتور/محمد بن علي المالكي.

(الزواج في الشرائع السماوية والوضعية) الأستاذة/هند المعدللي.

# فهرس الموضوعات

الموضوع







## من أهم إصدارات دار الواضح :



# من أهم إصدارات دار الواضح :



## من أهم إصدارات دار الواضح :

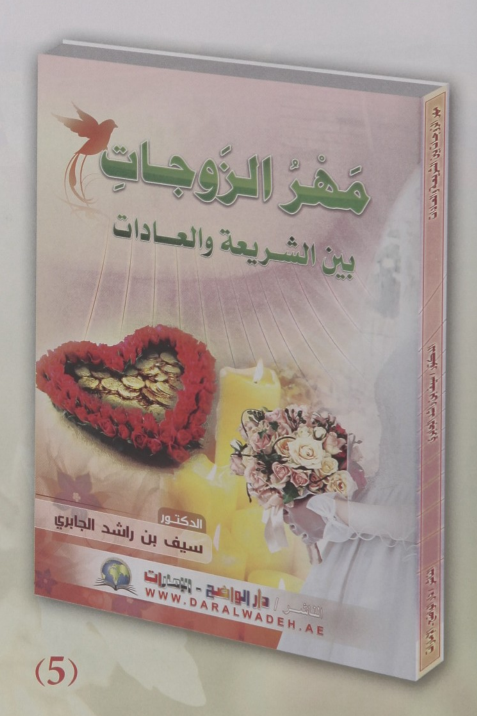


## من أهم إصدارات دار الواضح :




(4)

# من أهم إصدارات دار الواضح :



## من أهم إصدارات دار الواضح :



## المؤلف




### الدكتور/ سيف بن راشد الجابري

من مواليد دبي بدولة الإمارات العربية المتحدة .


له مشاركات في المؤتمرات والندوات العلمية، وعضو في جمعيات وفعاليات مختلفة في الدولة وخارجها، وممثل الدولة لدى مجمع الفقه الإسلامي العالمي، ونائب رئيس اللجنة العليا للإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي، ومأذون شرعي ومصلح اجتماعي، وله مساهمات ومقالات بوسائل الإعلام المختلفة.

## صدر له :

1. الهوية الوطنية وطني هويتي .
2. الجمعيات ذات النفع العام ودورها المساند للحكومة في خدمة الشعب .
3. التعايش السلمي بين الشعوب في الإسلام .
4. اختيارات الإمام ابن كثير في تفسيره القرآن العظيم .
5. أسماء السور القرآنية دلالات وإشارات.
6. شباب الغد المشرق.
7. مرحلة الخطوبة وأهميتها.
8. مهر الزوجات بين الشريعة والعادات.
9. كيف واجه الإسلام الفساد الإداري.
10. ذوي الاحتياجات الخاصة بين الحقوق والواجبات.
11. مبتلون مبدعون.
12. تأملات في غزوة بدر الكبرى.
13. مقاصد أسماء سور القرآن الكريم.
14. وكان أبو هما صالحاً.
15. الأم رسالة حب .